الذى نريده

للأستاذ عباس محمود العقاد

ما الذى نريده من حياة جديدة للمصريين والشرقيين ؟

الذى نريده كثير جدا من الطمأنينة التى مصدرها الشعور بالقوة، وقليل جدا من الطمأنينة التى مصدرها عدم الشعور

نريد أن نحس ذلك القلق الروحى الذى يحسه الغربيون على أثر كل معرفة جديدة ، وفى إبان كل اضطراب جلل ، وفى أعقاب كل دولة دائلة وفى مطالع كل مرحلة مقبلة . لأن القلق علامة النمو والحركة ؛ والنفس تنمو فيضيق بها كساؤها ، وتشعر بالحرج والتقلقل لا تستريح فيه ولا يريحها . وتحاول أن تخلع ما ضاق ورث ، وتلبس ما اتسع وحدث ، وهذا دواليك ما دامت تنمو وتستقبل الأحوال بعد الأحوال والأطوار بعد الأطوار

أما الطمأنينة التى تستقر بصاحبها لأنه لاينمو ولا يتحرك ، فتلك مصاب يرثى له وليست بنعمة يغبط عليها : أرأيت الحيوان الأعجم تفارقه الثقة قط ؟ كلا ! إنه يشبع ويسمن وينظر إلى الدنيا نظرة الرضى والتحدى كأنه بلغ الغاية وأوفى على الرجاء ... وهو قد بلغ الغاية حقا ولكنها غاية أقل من البداية ، وأوفى على الرجاء حقا ولكنه رجاء أخبث من القنوط . وشر ما يبتلى به المصرى والشرقى هذه الثقة وهذه الطمأنينة . فاللهم كثيرا جدا من القلق ، وقليلا جدا من الراحة والركود

* * *

الذى نريده كثير جدا من الإيمان الذى يسكن بصاحبه لأنه نفى جميع الشكوك ، وقليل جدا من الإيمان الذى يسكن بصاحبه لأنه يجهل الشكوك

الذى نريده كثير جدا من الخيال الذى لا يزال ينقلنا من واقع حسن إلى واقع أحسن ، وقليل جداً من « حب الواقع » الذى لايخرجنا مما نحن فيه ، لأن النوم واقع عند النائمين ، والجهل واقع عند الجاهلين ، والفقر واقع عند الفقراء ، والأسر واقع عند المستعبدين

زعموا أن الشرق مبتلى بداء الخيال والهيام بالأحلام

ألا ليت ما زعموه قد صدقوا فيه ! ألا ليت الشرق يحلم ويتخيل ، لأن الذى يعرف الحلم والخيال يعرف الأمل والطموح

إن « الطيارة » هى واقع اليوم ولكنها خيال الأمس . وهكذا ينتقل العاملون من خيال إلى واقع ، ومن واقع إلى واقع غير الذى كان .

وإن الخبز والمتعة واقع عندنا اليوم ، وواقع عندنا بالأمس ، وواقع فى جميع الأزمان ، ولن يزال واقعنا الوحيد حتى نحلم ونتخيل فنطمح ونأمل ونحيا ونعمل ، ونسوق الدنيا معنا من حال إلى حال ، ونخرج بها فى ركابنا من نطاق إلى نطاق

ألف ليلة وليلة ليست عالم الخيال والأحلام ، ولكنها هي واقع العاجزين والضائعين ، لان خبزها هو خبز المائدة ، غير أنه مفقود ليس بمأكول ؛ ولذتها هى لذة المخدع ، ومخدعها هو المخدع الذى ينال بالدرهم والدينار ، لولا أن الدرهم والدينار ناقصان !! ومن يحقق ألف ليلة وليلة لايحقق عالماً جديداً ولا فتحاً غريباً ، ولكنما يحقق « الواقع » الذى عرفه الناس من أقدم الأيام ولا يستطيعون أن يفقدوا المال والحطام ، وهما أيضاً من أوقع الواقع وأحس المحسوسات !!

فلا يقولن قائل إن الشرق يحلم لأنه يكتب ألف ليلة وليلة ، بل هو مبتلى بالواقع محبوس فيه لأنه يحلم هذه الأحلام ويتخيل هذا الخيال

ألف شرقى يدين بواقع العاجزين فدى لشرقى واحد يبيع العيش الصغير بالأمل الكبير ، ويحلم ويتخيل لينقل الواقع من طبقة إلى طبقة ، ومن مجال إلى مجال

* * *

نريد كثيراً جداً من « الذوق » الذى مصدره الفهم واليقظة والدماثة .

وقليلا جداً من الذوق الذى مصدره التأنث والسقم والاصطناع

لقد شبع الشرق من ظرف الظرفاء الذين يصرخون من الهباء كما يصرخ الجسم الورم من لمس الذباب

وشبع الشرق من ظرف الظرفاء الذين يتحلون بالتثنى والتأوه كما يتحلى بهما النساء

وشبع الشرق من ظرف الظرفاء الذين يبرمون بالجد كما يبرم به الصغار الهازلون

وشبع الشرق من ظرف الظرفاء الذين ليس منهم عامل فى ميدان ، ولا نافع لبنى الانسان ، ولا مجتهد يحسن الاجتهاد ، ولا فكه يحسن الفكاهة ، ولا رجل عظيم أو مقبول فى زمرة العظماء

شبع الشرق من هذا الذوق ، فهو من شبعه هزيل الجسد والروح ، وهو من شبعه أجوع ممن صام الف عام

أما الذوق الذى لم يشبع منه الشرق فهو الذوق الذى يحس الصغائر لأنه يحس كل شىء ، لا لأنه على الصغائر موقوف ، وفى الصغائر محبوس ومقصور

وهو الذوق الذى ينفذ من « البوتقة » لأنه جوهر حميم ، ولا يفرق من وهج النار كما يفرق الزيف والغشاء المصبوغ

* * *

الذى نريده كثير جداً من الضحك الذى معناه الاقبال على الدنيا والاضطلاع بالاعباء والقدرة على التبعات

وقليل جداً من الوقار الذى معناه التهيب والرياء واتخاذ المظاهر درعاً يستر ماوراءه من ضعف وهزيمة وعجز عن الكفاح

الضحك ملء الصدور والحناجر خير من الوقار ملء اللحى والتجاعيد ؛ والضحك الرنان كأنه موسيقى النصر فى ميدان الكفاح خير من الوقار المحجم كأنه مخبأ الهارب من الميدان ، وراء غبار الهزيمة وغشاء الدخان .

* * *

الذى نريده كثير جداً من الحرية التى تعرف الحدود ، وقليل جداً من الحدود التى لا تعرف الحرية . فليس من مقياس لحق الحرية أصح وأحكم من قدرة النفس على احتمالها بغير رقيب ولا موجه ولا حسيب

ان الحرية التى يتبعها الرقيب هى منحة من ذلك الرقيب واستعباد فيه السيد وفيه المسود

أما الحرية التى تعرف حدودها فهى حق لصاحبها لا يعطيه أحد ولا يسلبه أحد ، لأن الحر الذى يعرف كيف يلتزم الحدود يعرف ولا ريب كيف يحمى الحدود

* * *

الذى نريده بين القديم والجديد أن نمتلىء بالحياة ، فاذا بالتعبير الصالح الجميل ينبثق من تلك الحياة

فليس القديم بضائرنا اذا حيينا وشعرنا وعمدنا بعد ذلك إلى التعبير

وليس الجديد بنافعنا اذا عبرنا محدثين ، ونحن غير أحياء وغير شاعرين

ليست آفتنا أننا نعيش كما يعيش القدماء ، بل آفتنا أننا نندب القدماء ليعيشوا بديلا منا !

وليست آفتنا قلة الشعر الجديد ، بل قلة الشعور الجديد

وليست آفتنا أن القصة قليلة عندنا ، بل آفتنا أن القليل هو الحياة التى تستحق أن تكون قصة ، و « الواعية » التى تستوعب تلك الحياة

وليست آفتنا كساد المسرح ، بل آفتنا أننا فى مسرح الدنيا بلا أدوار ولا فصول ؛ ولو كانت لنا فى مسرح الدنيا أدوار وفصول لشاقنا أن نراها مروية فى أدوار الممثلين ، محكية فى أقوال المؤلفين

* * *

الذى نريده أن نفهم ما نريد وأن ننجز ما نريد ، وأن نعرف الفرق بين فهم القول وفهم الارادة . فانك إذا قلت لسامعك إنك تريد شيئاً من الأشياء فى يوم من الأيام فقد فهم ما تقول ، ولكنه لن يفهم ما تريد حتى ينجز ما طلبت فى الموعد الذى طلبت ، وهذا هو الفهم الأصيل

الذى نريده كثير جداً

وقليل جداً إذا استطعناه ، وإننا لمستطيعوه ببركة العزم والايمان

عباس محمود العقاد